تعليمية المؤسسة القرآنية
(التكوين والتقويم والإشراف)

د. إدريس نغش الجابري

السيرة الذاتية

الاسم: إدريس نغش الجابري.

المؤهل العلمي: دكتوراه في الفلسفة، تخصص: فلسفة العلوم وتاريخها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ودبلوم كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

التخصص الدقيق: فلسفة العلوم وتاريخها.

العمل الحالي: أستاذ العقيدة والمذاهب الفكرية بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ٢٠١٤، رئيس مركز ابن البنا المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية بالرباط، رئيس تحرير مجلة الدليل، وهي: مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز ابن البنا المراكشي للبحوث والدراسات.

*** الإنتاج العلمي:**

١ ـ الخلافة والخلاف، ١٩٨٩م.

٢ ـ دراسات في فلسفة العلوم الإسلامية وتاريخها، ٢٠٠٩م.

٣ ـ منطقيات الاستعارة، ٢٠٠٩م.

٤ ـ ابن هيدور التادلي الفاسي، ٢٠١٤م.

*** العنوان:**

*** الهاتف:** ٠٠٢١٢ ٥٣٧١٠٣٠٣٩

*** البريد الإلكتروني:** d_aljabiry@otmail.fr

ملخص البحث

ولدت المؤسسات القرآنية في تاريخ الأمة لدواعي شرعية وحضارية، فقد جعل الله تعالى أهل القرآن هم أهله وخاصته، وجعل نجاة البشر في الاعتصام بكتابه، وهلاكهم في هجره، ولما كان سبحانه قد وعد بحفظ كتابه، وجعل صدور أوليائه أوعية لذلك، فقد كان من الطبيعي أن تنهض الأمة منذ البداية بالقيام بشأن محاضن حفظ القرآن الكريم وعلومه. وعززت التطورات الحضارية لدولة المسلمين التي ظهرت على الأمم بقيم وتعاليم مستمدة من القرآن الكريم، هذه الحاجة إلى حفظ هذا المصدر العظيم الذي به تحفظ هوية الأمة، وتستمر قيمها الإيجابية منقولة بالتربية القرآنية عبر الأجيال. فكانت تلك المحاضن القرآنية مراكز علمية عالمية أنجبت أجيالًا من العلماء وحفظة القرآن وقرائه. وتطورت لتأخذ أشكالًا مختلفة باختلاف البيئات التي وجدت فيها. وصاحب ذلك حركة تأليف واسعة في العملية التعليمية داخلها: تكوينًا وتقويمًا وإشرافًا. ولكن التحولات التاريخية التي عرفها العالم المعاصر بعد الغزو الفكري والثقافي الذي تعرض له العالم الإسلامي، وتدشين المدرسة الحديثة، وما تركه ذلك من أثر في مسيرة حفظ القرآن الكريم وعلومه، يدعونا اليوم إلى يقظة علمية ودينية تجدد تلك المسيرة القرآنية تجديدًا شاملًا: مضمونًا وشكلًا وطرقًا تربوية وتعليمية، تستفيد من الإرث التاريخي والعلمي الإسلامي، ومما جد في علوم التربية دون انفلات عن المقاصد الشرعية التي توجه الفعل التربوي في المجتمعات الإسلامية. فما المقصود بتعليمية المؤسسة القرآنية؟ وكيف نجدد النظر فيها مستفيدين من التراكم الكبير الذي حصل في ميادين التعليم وفنونه، دون إغفال خصوصية هذا الفضاء المتميز في مواده وبرامجه ومقاصده وامتداداته التراثية العريقة؟

تعريف المصطلح

إذا كان مؤرخو العلوم يؤرخون لميلاد مصطلح التعليمية (الديداكتيك)[1] بالقرن ١٧م، وتاريخ ميلاد هذا العلم مستقلًّا عن العلوم الأخرى بسبعينيات القرن الماضي، فلأنهم يؤرخون للعلوم الإنسانية في بلاد الغرب، متجاهلين التراث الإسلامي الثري وما قدمه في مجال علوم التربية، إذ بدأ التأليف فيها مبكرًا منذ القرن الثاني للهجرة[2]. وجدة المصطلح لا ينبغي أن تجعلنا نغفل عن حقيقته

---

(١) كلمة didactique في اللغات الأوربية مشتقة من الكلمة الإغريقية didaskein ومعناها التعليم. ويستعمل المترجمون له في العربية عدة ألفاظ أهمها: تعليمية، وتعليميات، وعلم التدريس، وعلم التعليم، والتدريسية، ومنهجيات التدريس، والتربية الخاصة، والديداكتيك. وقد آثرت هذه الترجمة كما آثرت لفظ التعليم أيضًا بدل التحفيظ، استئناسًا في الأمرين بالاستعمال النبوي الشريف للفظ التعليم في قوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري في الصحيح: تحقيق محمد الناصر، شرح وتعليق مصطفى البغا، دار طوق النجاة، ١٤٢٢، ٦/ ١٩٢، رقم الحديث ٥٠٢٧ و ٥٠٢٨).

(٢) مثل: رسالة «العالم والمتعلم» للإمام أبي حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعه جي وعبد الوهاب الندوي، حلب ـ القاهرة، مكتبة البلاغة، ١٣٢٠هـ/ ١٩٧٢م، وأيضًا: «كتاب آداب المعلمين»، للفقيه المالكي محمد بن سحنون: تقديم وتحقيق محمود عبد المولى، الجزائر، ١٩٦٩، وغيرهما.

الدلالية وتجلياتها العلمية والعملية التي كان لها حضور متميز في التراث التربوي الإسلامي.

والتعليمية مصطلح تربوي يترجم به البعض كلمة ديداكتيك didactique، وهو[١]: علم يهتم بطرق تدريس مادة معينة وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ في المؤسسة التعليمية، قصد بلوغ الأهداف المسطرة مؤسسيًّا، سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي الحركي، وتحقيق المعارف والكفايات والقدرات والاتجاهات والقيم لديه. فموضوع هذا العلم هو العملية التعليمية ذاتها، من خلال مادة دراسية بعينها، أي نشاط كل من المدرس والتلاميذ وتفاعلهم داخل الصف، ومختلف المواقف التي تساعد على حصول التعلم. ويستهدف في جانبه النظري صياغة نماذج ونظريات تطبيقية معيارية، كما يعني في جانبه التطبيقي السعي للتوصل إلى حصيلة متنوعة من النتائج التي تساعد كلًّا من المدرس والمؤطر والمشرف التربوي وغيرهم... على إدراك طبيعة عملهم والتبصر بالمشاكل التي تعترضهم، مما ييسر سبل التغلب عليها ويسهل قيامهم بواجباتهم التربوية التعليمية على أحسن وجه.

وينبغي التمييز في هذا السياق بين ثلاثة مصطلحات بينها خصوص وعموم، وهي «التربية» Education و«البيداغوجيا» و«الديداكتيك» didactique، والبيداغوجيا Pédagogie: لفظ عام ينطبق على كل ما له ارتباط بالعلاقة القائمة بين مدرس وتلميذ بغرض تعليم الطفل أو الراشد

(١) ينظر: مدخل إلى علم التدريس، محمد الدريج محمد، الناشر دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠٤.

أو تربيتهما[١] فالبيداغوجيا أخص من التربية لارتباطها بالعملية التعليمية في المدرسة دون غيرها، وأعم من الديداكتيك لتعلقها بالتأملات النظرية التي تنير الطريق أمام الأفعال والنشاطات التعليمية التطبيقية، ولكون الديداكتيك مجرد «شق من البيداغوجيا موضوعه التدريس»[٢]، فهو تفكير في مادة دراسية بعينها بغية تدريسها، لا في التدريس بشكل عام. لذلك نتكلم عن «ديداكتيك الرياضيات» و«ديداكتيك التاريخ» و«ديداكتيك علم الحديث» و«ديداكتيك فن التجويد».

إن علم الديداكتيك يهتم بالجانبين النظري والميداني اليومي في تدريس المواد، أي كيف يمكن للمدرس نقل المعرفة إلى المتلقي بطريقة مضبوطة وفعالة، يراعي المشكلات الخاصة بالمادة المدرسة، والخصائص المميزة لها، وللمستهدفين بها، داخل فضاء تداولي مخصوص يتمثل في المؤسسة والأسرة والمجتمع. وبين أنه رغم جدة المصطلح فإن التراث التعليمي الإسلامي كان قد أسس تقاليد تعليمية راسخة في علاقة العالم بالمتعلم، ونحتاج إلى تطويرها في مؤسساتنا التعليمية القرآنية شكلًا ومضمونًا.

---

(١) معجم علوم التربية، مجموعة من المؤلفين، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤، ص ٢٥٥.

(٢) نفسه، ص ٦٨.

١ ـ أبعاد البحث «التعليمي»

للمؤسسة القرآنية

ينظر المشتغل بالتعليمية المواد التعليمية المبرمجة في المؤسسة القرآنية في ثلاثة أبعاد:

أولها: البعد المعرفي: أي محتوى المادة العلمية المراد نقلها إلى التلميذ. فينبغي لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم أن تربط التلميذ بالأصول المعرفية الكبرى للحقيقة، وهي القرآن والسنة، فهما مصدر المعارف الأساسية، وأساس مكارم الأخلاق في حياة الأفراد والمجتمعات، وتنفتح على المواد المرتبطة بهما لتوسيع مدارك المتعلم الشرعية. كما ينبغي لها أن تجعل مادة حفظ القرآن وتعلمه ضمن نسق من المواد الدراسية المساعدة: كاللغة والخط والحساب. فهي تعين على تطوير قدرات الطفل في الفهم والتذكر والربط والتذوق. وليس هذا من البدع في القول، فقد كان الحساب مثلًا منذ فترة مبكرة من تاريخ الإسلام جزءًا من البرنامج التعليمي الذي يتلقاه المتعلم. فنحن نعلم أن محمد بن عبد السلام سحنون (ت ٢٥٦هـ = ٨٧٠م)، أحد كبار مؤسسي الفقه المالكي بالغرب الإسلامي، في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (ق٩م)، نصَّ في رسالته «آداب المعلمين» على استحباب تعليم

الحساب للأطفال[١]. ومن المحتمل أن يكون في ذلك شيء من تأثير شيخه الفقيه الرياضي شقران بن علي القيرواني (ت ١٨٦ هـ = ٨٠٢م)[٢]. وهكذا فإن الباحث الديداكتيكي في مجال المؤسسات والمراكز القرآنية لابد أن ينظر إلى هذا التكامل والانفتاح المعرفيين في عقل حامل القرآن، لكنه من زاوية نوعية اشتغاله لا يهتم بتنويع المواد فقط، بل ينظر في كل مادة مع مراعاة ثلاثة أمور هي:

* التناسب بين الكم (أي عدد المعلومات) والكيف (الوسائل المستعملة).

* المستوى (السن والمرحلة الدراسية).

* التداول (الوضعية الكلية للخطاب البيداغوجي، أعني: أحوال المدرس والتلميذ والبيئة الثقافية).

وثانيها: البعد البيداغوجي: ابتداء بالمشروع المنهاجي الدراسي العام curriculum الذي يضع المقصد العام من المادة ضمن الأهداف والقيم الوطنية العليا، ثم الأهداف العامة والنوعية المقصودة من المادة عينها. وأخيرًا البنى التحتية التي تتطلبها: أعني الجوانب المؤسسية التي

---

(١) محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تقديم وتحقيق محمود عبد المولى، الجزائر، ١٩٦٩، ص ١٨.

(٢) شقران بن علي بن يوسف القيرواني (ت ١٨٦ هـ = ٨٠٢م): هو شيخ الفقيه ابن سحنون، عالم بالحساب والفرائض. وله كتاب في الفرائض. له ترجمة في **شجرة النور الزكية في طبقات السادة المالكية**، محمد بن مخلوف، دار الفكر، د. ت، ١/ ٦٠، ع ٣١، خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠: ٣/ ١٧٠.

تتم فيها العملية التربوية. ويحتاج تفصيل هذه الأهداف إلى بحوث مفصلة، وقصارى ما يمكن قوله في هاهنا: أن المؤسسة القرآنية ينبغي أن تكون أفضل معبر عن المشروع المنهاجي العام للأمة، فهي الأقدر على صنع المواطن الصالح المنتج الفعال، القادر على ترسيخ منظومة القيم الثقافية في نفس حامل القرآن، لأنه المكلف بتفعيلها في أمته؛ فهمًا وتطبيقًا ونشرًا بين الناس. وفي ذلك حماية لبيضة المجتمع من الانكسار أمام القيم الوافدة عليه والغريبة عن مفاهيمه المعتدلة الوسطية المتسامحة. ولهذا فإن صياغة الأهداف النوعية للمواد المقترحة داخل المؤسسة القرآنية لابد أن تتميز بالدقة العالية، وأن يكون للمشرفين عليها تصورات واضحة عنها، وخطط استراتيجية لتنفيذها.

وثالثها: البعد النفسي: ويتجلى ذلك في أمرين، (أولهما): بناء المادة العلمية المدرسة بناء يراعي الخصائص النفسية للمتلقي التي تختلف حسب السن والقدرات النفسية والعقلية، فمقدار المادة المقررة للحفظ يوميًّا أو أسبوعيًّا أو شهريًّا يتناسب طردًا مع تلك الخصائص والقدرات. و(الأمر الثاني): تحديد كيفية تحقيق «التحتية الوجدانية» أعني التفاعل العاطفي الإيجابي بين المدرس والتلميذ. وهو ما يمكن الاستفادة فيه من كتب آداب العالم والمتعلم الكثيرة في تراثنا التربوي التعليمي، فقد بينتْ كثيرًا من الممارسات السلوكية والتقنيات التعلمية اليومية داخل مجلس التعليم، ويمكن للباحث في ديداكتيك المواد الدراسية في المؤسسات القرآنية تجديدها وتنزيلها في المدارس القرآنية، ودعمها بما جد من تقنيات في مجال التنشيط وعلوم التواصل.

٢ ـ التخطيط «التعليمي»

للمؤسسة القرآنية

إن نقل تلك الأبعاد من مستوى التنظير إلى مستوى التحقق الفعلي في المؤسسة القرآنية يقتضي وضع تخطيط محكم من ثلاثة مستويات:

الأول: التخطيط الخارجي: وهو عبارة عن مجموعة من الأسس المنهجية العامة التي تضعها الجهة الرسمية المشرفة على المؤسسة التعليمية: أعني الوزارات أو الهيئات العليا الوصية على المؤسسات والمراكز القرآنية، حتى لا تكون عملية نقل المادة المدرسة مهددة بتدخلات طائشة تتعارض مع المشروع المنهاجي التربوي العام. ولا يقف هذا التخطيط عند حد صياغة كتب البرامج الدراسية داخل المؤسسة القرآنية، بل يتعدى ذلك إلى نشر كتب توجيهية تساعد الأطر الإدارية المشرفة على المركز القرآني، وتضبط مجال عمل الفاعلين التربويين داخل حلقات التحفيظ والتدريس، وكذلك وضع اللوائح التنظيمية الأساسية للمراكز بشكل يتميز بقدر من الثبات النسبي، بحيث يضمن استقرار المؤسسة تنظيميًّا مع إعطاء قدر من حرية الاقتراح والتطوير لإدارة المركز ضمن تلك الأسس العامة.

الثاني: التخطيط المدرسي: وهو مجموعة الشروط المادية التي

تضعها المؤسسة رهن إشارة المدرس لتسهيل عملية النقل البيداغوجي دون عوائق كبرى تفشل العملية التربوية. وهنا تظهر فاعلية المسؤولين على إدارة المركز القرآني: أي كيف يتمثلون فنون الإدارة التربوية في عملية التسيير، بما لا يصطدم مع اللوائح القانونية المنظمة، ولا مع البنية التحتية الوجدانية للفاعلين التربويين. ثم كيف يطورون الأداء الإداري داخل المؤسسة القرآنية ليرتقوا بها إلى مستوى المنافسة، وكيف يستثمرون كل الوسائل المادية المتاحة، وكيف يبحثون عن ابتكار الوسائل الجديدة الفعالة، وكيف ينسقون بين الصرامة التي يقتضيها القانون والحرية التي تقتضيها الأبعاد النفسية والبيداغوجية للعملية التربوية داخل حلقات التحفيظ ومجالس التدريس.

الثالث: التخطيط المباشر: وهو الصياغة التنفيذية لعملية النقل من قبل المدرس، أعني التخطيط للدرس؛ تكوينًا وتشخيصًا وتقويمًا، ليكون الدرس مؤثرًا وفعالًا. والنظر في كيفيات تنزيل ذلك في المؤسسات القرآنية نظر ذو شجون كبيرة جدًّا. ويمكن القول على سبيل التعميم: إن الإمام المحفظ والشيخ المدرس سمي في تاريخنا التربوي بالمعلم والمؤدب. وفي هذا من المعاني العميقة ما لا يدركه إلا أهل الاختصاص؛ لأن شروط مزاولة هذه المهنة التي ترفع صاحبها إلى منزلة أهل الله الموصوفين بالخيرية على لسان أشرف خلقه، ليست بالشروط الهينة. وليس كل حامل للقرآن يستحق مزاولة هذه المهنة الشريفة، بل لابد أن يكون متخلقًا بأخلاق العلماء المؤدبين، وخبراء المربين، الذين جمعوا بين قوة الحضور المعنوي، ومهارات التواصل، والدراية بالتقنيات الحديثة المناسبة للمادة التي ينقلها إلى المتعلم. ولما

كان الديداكتيك يعني حسب كثير من الدارسين ممارسة ميدانية تتمثل في عملية التدريس التي تطبق فيها مجموعة من المعايير والقواعد التربوية، وتشتمل على المجالين النظري والتطبيقي[١]. فإن ديداكتيك أي مادة دراسية في المراكز القرآنية ليست له صورة نمطية واحدة، ولا وسائل تنفيذ ثابتة، بل إنه سيرورة تنمو وتتطور بنمو المعارف العلمية والتقنيات التواصلية. وهذا يزيد من صعوبة عمل هذا المعلم المربي، ولا يمكنه التغلب عليها إلا بأن يلازم متابعة ما يجدّ في ميدان عمله، وينفتح على زملائه في الميدان ليستفيد من خبراتهم، ويستعين بالسابقين في العلم منهم. وعليه أن يقتنع [بأنه] ناقل أمين ومربٍّ فعال بواسطة منهجيات منضبطة، وتقنيات مؤثرة، تقوم على أفعال كلامية وتجريبية يومية، وقدرة على المراجعة الذاتية، وعلى الفعالية في تجاوز العوائق النفسية والمعرفية لدى التلميذ[٢].

---

(١) ينظر: ديداكتيك التربية الإسلامية من الإبستمولوجي إلى البيداغوجي، أحمد عمراوي، خالد البقالي القاسمي، الثقافة، ١٩٩٩.

(٢) لم يكتف المربون المسلمون بالحديث عن الوسائل التربوية العامة مثل: الإلقاء أو المحاضرة، والإملاء أو التلقين، والمناظرة، بل قدموا تفصيلات مهمة تتعلق بكل نوع منها، وبالآداب الواجب توفرها في نقل المادة التعليمية من المعلم إلى المتعلم. وأدرجوا معطيات السن والبيئة والمناخ والوقت... مما يدل على تقدمهم في مجال ديداكتيك التعلمات وإن لم يسموها بهذا اللفظ.

٣ ـ جوانب الانشغال «التعليمي» للمدرس

إن العلاقة التعليمية هي فعل تواصلي يتضمن أمورًا أبرزها: المرسل والمتلقي والقناة. وإن أي خلل في أي مكون منها يبطل الفعل التواصلي. ولذلك فلابد من مراعاة أمور في عمل المعلم:

ـ **اختيار الوضعيات التعلمية**: والمقصود بها لحظة الانطلاق في حلقة الدرس، فلا يدخل في الدرس رأسًا لما في ذلك من ثقل على نفسية المتعلم غالبًا، بل ينتقي بعناية وضعية تنشيطية تتوجه إما إلى الذاكرة لاسترجاع وضعيات سابقة، أو إلى الفهم باستحضار وضعيات معرفية أو اجتماعية تنشط الذهن أو تعصف به أحيانًا لتقاوم سباته الدوغمائي، أو تتوجه إلى الحس الذوقي والجمالي باستماع مقطع قرآني أو رؤية مشهد مصور يوقظ الحواس ويعدها لاستقبال المادة العلمية المقررة. وتختم الوضعية التعلمية بانتقال سلس نحو المادة المقررة للحفظ أو الدرس، على أن يتم الشروع فيها بتوعية المرسل بالهدف المقصود من الحصة.

ـ **التسهيل والتنويع والبسط**: يتعلق الأمر هنا بالقناة أو قلْ بالمادة

وكيفية نقلها إلى المتلقي. فلا بد من تسهيل المادة بالشرح والتشخيص والاستدلال، وتنويعها أداء، فلا يسلك المحفظ ولا المدرس مسلكًا واحدًا في طرق التحفيظ والتدريس[١]. بل ينوع ذلك بحسب المادة وأحوال المتلقي، فيمزج بين الطرق الفردية التي تراعي الفوارق الفردية، والطرق الجماعية التي تقوي روح التعاون والتنافس الإيجابي بين المتعلمين، وينوع بين الوسائل المادية (السمعية والبصرية) والوسائل اللفظية (الكتاب التعليمي المقرر). ثم لابد من الاختصار لدرجة الحد الأدنى من العدد المحتمل حفظه أو تعلمه بيسر من قبل المتلقي العادي، لكن مع بسطه بالأمثلة، وتقريبه بالتشخيص، وتثبيته بالأسئلة والمناقشات؛ لأن البسط أساس التعلم في الصغر، والاختصار شأن الفحول من أهل العلم، كما قال أحمد ابن البنا الأزدي المراكشي (ت ٧٢١هـ)[٢]:

قصدتُ إلى الوجازة في كلامي ... لِعِلْمي بالصوابِ في الِاختصارِ
ولم أحْذَرْ فُهُومًا دون فَهمي ... ولكنْ خِفْتُ إزراءَ الكبارِ

---

(١) فالكتابة على الألواح في المدارس القرآنية في بعض الدول الإسلامية يجب أن تمزج بإدراج وسائل أخرى حديثة: كالدفاتر الورقية والملفات والبرامج الإلكترونية الكثيرة.

(٢) نقل ابن الخطيب عن شيخه المقري أن ابن البنا أنشده هذه الأبيات وكتبها عنه (الإحاطة لابن الخطيب، طبعة مصر، ١٣١٩هـ: ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧١). وذكر المقري سند الرواية عن ابن شاطر عن الهزميري عن ابن البنا (نفح الطيب، مصر، ١٣٠٢هـ: ٥/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩). وقال صاحب الإعلام إن الأبيات نقلها أبو عبد الله الحضرمي عن شيوخه عن ابن البنا (الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم المراكشي، تح عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٦: ٢/ ٢٠٨). والأبيات من الوافر.

فشأنُ فُحُولِ أهلِ العلم شأني وشأنُ البسْط تفهيمُ الصغارِ

فالاختصار هنا: «وجازة»، أي «إيجاز» بالمعنى البياني، وهو: «أداء المقصود من الكلام بأقلَّ من عباراتِ متَعارَفِ الأوساط»[(١)]. أي: الاقتصاد في اللفظ مع كثافة المعنى. ولذلك استعمل في ضده «البسط» وهو الإطناب والشرح الذي تقتضيه الأغراض التعليمية، وعلى رأسها تنمية مهارات التلميذ العقلية.

ـ التكامل والترابط: لقد «كان التكامل في العقلانية العلمية الإسلامية الأصيلة جوهرًا لا عرضًا طارئًا عليها»[(٢)]. وتمثل ذلك في المؤسسات التعليمية حيث كانت الجسور موصولة بين العلوم بمختلف تخصصاتها. واليوم نشأ وعي جديد في البلاد الأوروبية بضرورة التمسك بالمناهج التكاملية في الميدان التعليمي خاصة وفي نظرية المعرفة عامة. ويقصد بالمناهج التكاملية في المجال التربوي التعليمي: «المناهج التي يتم فيها طرح المحتوى المراد تدريسه ومعالجته بطريقة تتكامل فيها المعرفة، من مواد أو حقول دراسية مختلفة سواء كان هذا المزج مخططًا ومجدولًا بشكل متكامل حول أفكار وقضايا وموضوعات متعددة الجوانب، أم تم تنسيق زمني مؤقت بين المدرسين الذين يحتفظ كل منهم بتخصصه المستقل أم بدرجات بين ذلك»[(٣)]. وتبين من هذا

---

(١) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٧٩.

(٢) إدريس نغش الجابري: دراسات في فلسفة العلوم الإسلامية وتاريخها، فاس، ٢٠٠٩، ص ٧٩.

(٣) المعيقل، عبدالله بن سعود، المنهج التكاملي، مستقبل التربية العربية، القاهرة، العدد ٢٢، س ٢٠٠١، ص ٤٨.

حاجة المؤسسة التعليمية القرآنية إلى أن تضع نسقًا منضبطًا للمواد المدروسة يجعل من المادة دائرة غير مغلقة، بل مفتوحة ومتقاطعة مع المواد الأخرى، لكي نصلح الشرخ الذي أقامته المنهجيات الحديثة بين العلوم الدينية والعلوم الإنسانية والطبيعية، ثم بين العلوم الإنسانية نفسها وبين العلوم الطبيعية التي سموها «علومًا دقيقة»[(١)]، فأصبحت العلوم الشرعية الدائرة على القرآن الكريم في التعليم الحديث خارج دائرة العلوم الدقيقة. فلا بد من تقاسم الهم «التعليمي» في المؤسسة القرآنية بين كل الفاعلين التربويين فيها، ومن جهة أخرى يلزم أيضًا توسيع الفضاء التربوي ليشمل الأسرة والمجتمع؛ لأن المؤسسات التعليمية القرآنية تعاني بالفعل من هذا الفصل بينها وبين الفضاءات التربوية الخارجية، وفي مقدمتها المجال التعليمي العام.

ـ **التقويم**: وهو جزء من عملية التعلم، من حيث كونه وسيلة للتصحيح والتثبيت والتطوير. ولذلك يقسم إلى ثلاثة مستويات:

ـ **التقويم الجزئي القصير ويسمى أيضًا بالتقويم التشخيصي**: وهو يعقب كل محور جزئي من محاور الحصة الواحدة، أو في بدايتها، بقصد التأكد من مستوى تحصيله من قبل المتعلم. فيتم التصحيح والمراجعة بقصد التثبيت.

---

(١) مصطلح العلوم الدقيقة صار موضع مراجعة اليوم بعدما أدرك العالم منذ ظهور نظرية النسبية في الفيزياء والاحتمالات في الرياضيات، أن المعرفة الإنسانية بالطبيعة معرفة ارتيابية، والحقائق المدركة فيها كلها نسبية. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الإسراء، ٨٥).

ـ **التقويم الجزئي المتوسط وقد يسميه البعض بالتقويم التكويني**: وهو يعقب كل وحدة جزئية من وحدات المقرر الدراسي، ويكون عقب نهاية تلك الوحدة التي قد تستغرق عدة حصص تعلمية. فيتم فيه مراقبة المكتسبات في تلك المرحلة.

ـ **التقويم الإجمالي**: وهو يتم في نهاية دورة أو فصل أو سنة دراسية، ويمكنه من الحكم على المستوى التحصيلي النهائي للمتعلم.

والواقع أن التقويم تتقاطع فيه عدة علوم تربوية، وليس له مسلك واحد في التطبيق. فالواجب أن تنوع المؤسسات التعليمية القرآنية طرق التقويم الفردية والجماعية، لكي ترقى بأدائها التعليمي إلى أحسن المراتب. وأن تضع دفترًا للمراقبة المستمرة لأنشطة الحفظ والتعلم، يشتمل على بيانات المراقبة المستمرة بما فيها أوراق التنقيط، ومدارج المراقبة يتم فيها تشخيص مستوى القسم وتصنيف المتعلمين تبعًا لمستوياتهم التعلمية وفروقاتهم الفردية أو الفئوية، والتقارير التربوية الدورية والسنوية، وعلى الفروض الجزئية والاختبارات المجملة وعلى مرجع تقويم الدروس الذي يسجل ما يعترض المدرسين من مشكلات وعوائق مادية وبشرية ومعنوية، وما يتم وضعه من حلول واقتراحات وتوصيات.

٤ ـ التكوين التربوي للمشرفين على حلقات التعليم القرآني

١ ـ **الإشراف وأنواعه**: يعرّف الإشراف على حلقات التعليم القرآني بأنه «متابعة جهود العاملين وتوجيهها بما يحقق أهداف المؤسسة على أحسن وجه»[(١)]، وهو نوعان: إشراف إداري تتكفل به إدارة المركز أو المؤسسة، وإشراف تربوي أو تعليمي يتكفل به المعلم نفسه. والاعتناء بالإشراف ضروري للخروج بالتعليم القرآني من الارتجال في المناهج والتدريس إلى التنظيم الفعال.

٢ ـ **إعداد المشرفين الإداريين والتربويين**: لما كان المشتغلون في الإدارة أو التعليم في مؤسسات ومراكز التعليم القرآني في العالم الإسلامي هم من قليلي الأهلية والخبرة في المجال التربوي غالبًا، فإن الحاجة ماسة إلى الاعتناء بالتأطير الإداري للمشرفين الإداريين، ليكتسبوا المهارات المطلوبة في فن الإدارة التربوية، كما ينبغي الاعتناء

(١) يحيى الغوثاني: «فن الإشراف على الحلقات والمؤسسات القرآنية» دار الغوثاني، ط٥، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٢.

بالتأطير التربوي للمحفظين والمعلمين في تلك المؤسسات. وهناك عدة توصيات في طرق هذا الإعداد:

- دورات تكوينية يستدعى لها الخبراء والمختصون في فنون الإدارة التربوية وديداكتيك التربية الدينية.
- فتح المجال للمشرفين ليلتحقوا بمؤسسات تكوين الأطر وكليات علوم التربية لفترات محدودة لتلقي الأسس النظرية والعملية لفنون التربية: إدارة وتعليمًا.
- إنشاء مركز لتأهيل وإعداد المشرفين على المؤسسات والمراكز القرآنية[(١)].

(١) ينظر هذا الاقتراح في: فن الإشراف للغوثاني: ٣٠٧ ـ ٣١٦.

خاتمة

ما زال الاشتغال بموضوع مناهج التعليم والإشراف في المؤسسات القرآنية بكرًا في المكتبة الإسلامية، رغم عمقه التاريخي، وأهميته في واقع المسلمين ومستقبلهم. وأما البحث الدقيق في الجوانب الديداكتيكية منه فيكاد يكون معدومًا. ويبدو أنه واجب علمي على الجهات الوصية على تلك المؤسسات أو المراكز أن تخصص لهذا الأمر الاهتمام الأكبر، ارتقاء بهذا التعليم إلى أفضل المراتب، وحفظًا له من كل الآفات. ويبدو أن التراكم الحاصل في عدد المراكز والمؤسسات القرآنية في العالم الإسلامي يحفز جميع الباحثين في علوم التربية والمسؤولين والأوصياء على تلك المراكز ليحملوا هذا الواجب العلمي، نيابة عن الأمة جمعاء.